المحاضرة الخامسة:

جماعة الديوان

عناصر المحاضرة:

أولا: جماعة الديوان النشأة والمنطلقات:

1- التعريف بجماعة الديوان.

2- المنطلقات الغربية لجماعة الديوان.

ثانيا: الآراء والقضايا النقدية عند جماعة الديوان:

1- مفهوم الشعر.

2- أصول الشعر عند جماعة الديوان.

3- مفهوم النقد عند جماعة الديوان.

4- قضايا النقد عند جماعة الديوان:

أ- الوحدة العضوية.

ب- الوزن والقافية.

ج- الصنعة.

د- الصدق الفني.

أولا: جماعة الديوان النشأة والمنطلقات:

جماعة الديوان من أهم المدارس الأدبية والنقدية في العصر الحديث، وهي تمثل الانطلاقة الحقيقية لحركة التجديد في الشعر العربي الحديث، كما أحدثت ثورة كبيرة في النقد الأدبي.

1- التعريف بجماعة الديوان[1]:

'جماعة الديوان' مصطلح يطلق على مجموعة من الشعراء النقاد؛ وهم 'عبد الرحمن شكري' (1886-1958م)، و'عباس محمود العقاد' (1889-1964م)، و'إبراهيم عبد القادر المازني' (1889-1949م).

وعرفت جماعة الديوان بهذا الاسم نسبة إلى أهم إسهام نقدي قدمته وهو كتاب (الديوان في الأدب والنقد)؛ الذي ألفه العقاد والمازني عام 1921م، فكان شعلة الانطلاقة النقدية، وخطوة كبيرة في مؤلفاتهم، مع الإشارة إلى أن العقاد بدأ إسهاماته النقدية التجديدية عام 1907م من خلال مقالاته في جريدة الدستور.

إضافة إلى إسهاماتهم التجديدية في الشعر؛ إذ كانت بداية انطلاقة هذه الجماعة مع إصدار ديوان عبد الرحمن شكري (ضوء الفجر) عام 1909م، الذي اتضحت ملامح التجديد فيه؛ فلفت شكري الأنظار إليه، ونال كثيرا من التقدير، ثم تبعه المازني بإصدار ديوانه الأول سنة 1913م، وأخيرا ظهر الديوان الأول للعقاد (يقظة الصباح) سنة 1916م.

وقد كان لكتاب (الديوان في الأدب والنقد) أثر بالغ في التفات الناس إلى الاتجاه الأدبي والنقدي الجديد؛ إذ مثل ردة فعل ثائرة ضد ما كان سائدا في الساحة الأدبية والنقدية؛

[1]- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ج1، ص50، ج2، ص6، وينظر: محمود الربيعي، في نقد الشعر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1977م، ص100.

"فالديوانيون هم أول من عبر عن أفكار منظمة أحدثت ثقبا في جدار الكلاسيكية العربية، وتطلعا إلى بناء مدرسة حديثة في معنى الأدب وغاياته"[1].

وعلى الرغم من عدم مشاركة 'عبد الرحمن شكري' في تأليف كتاب الديوان؛ إلا أن الآراء النقدية المبثوثة في الكتاب مشتركة بينهم، بحكم الثقافة التي اشتركوا في تلقيها، إضافة إلى الفضل والإسهام الكبير لشكري في وضع كثير من الأفكار والآراء التي أرست دعائم الجماعة، ويتعلق الأمر بمقدمات دواوينه ونصوصه الشعرية المعبرة عن تلك الآراء والأفكار، وكان العقاد يشير إلى فضل شكري في تأسيس الجماعة.

وقد عرفت جماعة الديوان بالجماعة دون (المدرسة)؛ لأسباب تتعلق بخصوصية استخدام مصطلح (الجماعة) ذلك أنه يقتضي الاجتماع ولا يقتضي التجانس أو التماثل، وهذا ما ينطبق على أعضاء جماعة الديوان؛ إذ إنهم مجتمعون ضمن إطار عام وهو المدرسة الرومانسية أو الاتجاه الوجداني، ومتقاربون في المرجعية والأهداف، يقول العقاد: "إن هناك مسائل كثيرة تتفق عليها آراؤنا في الأدب ومذاهب الثقافة العامة نحن والزميلان المازني وشكري؛ سواء في مقالات الصحف والمجلات، أو فصول الكتب والمصنفات، ولا غرابة في هذا الاتفاق مع العلم باشتراكنا في دعوة واحدة، واطلاعنا على مراجع واحدة، وتبادلنا الحديث سنوات طوالا في مختلف الشؤون وعوارض الأخبار والأفكار"[2]، إلا أن الناظر في آرائهم النقدية ونتاجاتهم الأدبية يلحظ جوانب اختلاف واضحة بينهم، وسنحاول عرض بعضها حين نعرض لمناقشة آرائهم النقدية.

[1]– أنس داوود، رواد التجديد في الشعر العربي الحديث، ص49.

[2]– جريدة الأخبار، عدد 13089، في 30 ماي 1962م، نقلا عن: سعاد محمد جعفر، التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب، جامعة عين شمس، مصر، 1973م، ص53.

2- المنطلقات الغربية لجماعة الديوان:

تأثرت جماعة الديوان بالرومانسية الإنجليزية، وهذا راجع إلى ثقافتهم الإنجليزية، التي اتصلوا من خلالها بثقافات أخرى، وهذا التأثر يظهر في الروح والنظرة إلى الحياة، وفي موقفهم من الشعراء والنقاد الذين سبقوهم مباشرة.

يقول العقاد: "وأما الروح فالجيل الناشئ بعد شوقي كان وليد مدرسة لا شبه بينها وبين من سبقها في تاريخ الأدب الحديث؛ فهي مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية، ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي، كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين في أواخر القرن الغابر، وهي على إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والطليان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين، ولعلها استفادت من النقد الإنجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى، ولا أخطئ إذا قلت: إن (هازلت) هو إمام هذه المدرسة كلها في النقد؛ لأنه هو الذي هداها إلى معاني الشعر والفنون، وأغراض الكتابة، ومواضع المقارنة والاستشهاد"[1].

يشير العقاد إلى إعجابه وشعراء ونقاد عصره بآراء 'هازلت' النقدية، وتأثرهم بالمدرسة الإنجليزية في الشعر والنقد وإسهامها في انفتاحهم على الآداب الغربية الأخرى؛ فقد كانت قراءاتهم متنوعة، إذ كانوا يطلعون على كل جديد في أوروبا من آداب ومذاهب فنية عن طريق الكتب والمجلات، ولم تمنعهم الثقافة الغربية من الاتصال بالتراث العربي؛ فقد اطلعوا على روائع الأدب العربي القديم، خاصة ما رأوا منه أنه يقترب أو يوافق ذوقهم الجديد ويناسب ذوقهم الوجداني؛ كابن الرومي والمتنبي والشريف الرضي وأبي العلاء المعري... وغيرهم.

كما يشير العقاد إلى اشتراكه وزميليه المازني وشكري في هذا الانفتاح الثقافي ويشيد بهما في قوله: "لم أعرف قبل شكري ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية وما يترجم إليها من اللغات الأخرى، ولا أذكر أنني حدثته

[1]- عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، دت، ص192.

عن كتاب قرأته إلا وجدت عنده علما به، وإحاطة بخبر ما فيه، وكان يحدثنا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها، أما المازني هو الآخر فحظه من العربية كما حظه من الإنجليزية قوي للغات"[1].

والحقيقة أن الثقافة الخاصة بجماعة الديوان قد ميزتهم عن جيل الإحياء الذي لم يعرف مثل هذا الثراء والانفتاح الثقافي.

- **ثانيا: الآراء والقضايا النقدية عند جماعة الديوان**

1- مفهوم الشعر:

لم يحاول أحد من أعضاء جماعة الديوان أن يحصر الشعر في تعريف محدد، وإنما تعددت أقوالهم حوله؛ يقول العقاد: "من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدد كمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود"[2].

وقد اتفقوا على أن الشعر تعبير يرتبط بالعالم الداخلي للشاعر؛ من ذلك قول العقاد في مفهومه للشعر: "إنه التعبير الجميل عن الشعور الصادق"[3]، ويقول: "الشعر صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام، والشاعر هو كل عارف بأساليب توليدها بهذه الواسطة، يستخدم الألفاظ والقوالب والاستعارات التي تبعث توا في نفس القارئ ما يقوم بخاطره من الصور الذهنية"[4]، والشعور هو الإحساس بالحياة في جزئياتها بآمالها وآلامها، وهو ليس شعورا ذاتيا بل شعور إنساني عام، تظهره ذات الشاعر الخاصة في علاقاتها بالحياة والناس والطبيعة ومظاهرها.

---

[1]- مصطفى السحرتي، دراسات نقدية في الأدب المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ص85.

[2]- عباس محمود العقاد، ديوان وحي الأربعين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013م، ص8.

[3]- المصدر نفسه، ص8.

[4]- عباس محمود العقاد، خلاصة اليومية والشذور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1995م، ص12.

والشعر عند عبد الرحمن شكري ما تمثل عواطف وأحوال النفس؛ يقول معبرا عن ذلك:

إنّ القُلوبَ خوافـــــق والشِّعرُ من نبضاتها
فترى الحياةَ جميعَـها منشــورةً بصِفاتـــها
والشعر مرآةُ الحـــــياة تـــطلُّ من مرآتـــها

إذ يرى أنه لا يمكن إدراك الحياة ومعرفتها إلا من خلال الشعر، الذي يعد المرآة التي تطل منها متمثلة بنفس الشاعر الكبير (الإنسانية).

ويلخص المازني مفهومه للشعر في بيت شعري يقول فيه:

وما الشعر إلا صرخةٌ طال حبسها يرنُّ صداها في القلوب الكواتِمِ

فالشعر عواطف وخواطر تظل مكبوتة في نفس الشاعر، وما إن يخرجه في تعبير جميل حتى يجد له صدى في قلوب الآخرين باعتباره صورة عن حياتهم.

كما يحدده في قوله: "إنه فن ذهني غرضه العاطفة، وأداته الخيال، أو الخواطر المتصلة التي توجهها العاطفة وجهتها"[1].

ويتلخص الشعر عند جماعة الديوان في أساسين: الحس الصادق، والقدرة على نقله بالتعبير الجميل؛ فهو عندهم تعبير عن الذات والعوالم الداخلية للإنسان، ثم يتسع ليشمل الحياة كلها.

إذ "يؤمن أصحاب مدرسة الديوان بأن الشعر يجب أن يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر، وذاته وحياته الباطنية، وصادرا عن نفس الشاعر وطبعه، والشعر عندهم تغلب عليه النزعة الوجدانية (...)، وأساس الحكم عند شعراء الديوان هو ظهور شخصية الشاعر في شعره، وصدقه في الإحساس والتعبير"[2].

---

[1]– إبراهيم عبد القادر المازني، حصاد الهشيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص133.

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ج2، ص10.

وهم في ذلك متأثرون بالنقاد الإنجليز في مفهومهم للشعر لا سيما 'وليم هازلت' الذي يقول: "إن الشعر في موضوعه وشكله هو المجاز أو الشعور الطبيعي ممتزجا بالعاطفة والتخييل"، وقد تأثر العقاد به كثيرا في أغلب آرائه حول الشعر والشعراء، إذ اتخذوه رائدا لهم في النقد، وكان مرجعهم الأول كتاب (الكنز الذهبي) الذي كان يحوي مختارات من الشعر الإنجليزي من شكسبير إلى نهاية القرن العشرين[1].

– ويمكن القول إن تجديد الشعر عند جماعة الديوان كان على مستوى جوهره ومقوماته وهي: أن يتغلغل ذلك الشعر بعيدا في النفس، ويستقي إلهامه من التجربة الإنسانية؛ فعلى الشعراء أن يبحثوا عن جوهر الأشياء لأن الشعر مزيج من المعنى والشعور.

ولذلك لم يجعلوا الشكل الخارجي من وزن وقافية أساسا في تعريفهم للشعر تجاوزا منهم للمفهوم القديم، يقول المازني: "ولقد نظرت، فلم أجد أحدا ممن بحثوا في الشعر جاء بتعريف فيه للنفس مقنع؛ إذ ليس يكفي في تعريفه مثلا أن يقال إنه الكلام الموزون المقفى"[2].

– وقد اتفق أعضاء الجماعة على أن الشعر تعبير يرتبط بالعالم الداخلي للشاعر، لكنهم اختلفوا في تفسير طبيعة هذا الرباط، وتوضيح ذلك: أن المازني والعقاد يفسران معنى (الشعر تعبير عن الوجدان) بأن الشاعر يعبر عن وجدانه الذاتي وتجربته الخاصة وأحاسيسه الشخصية، وبالتالي هو يعبر أيضا عن المجتمع باعتبار أن وجدانه وعواطفه لا يمكن أن تكون ذاتية خالصة في الأحوال العادية، فالشعر عند المازني هو تعبير عن وجدان الشاعر وذاته وحياته الباطنية كما ذكر المازني.

فالشعر في نظرهما تعبير مباشر عن نفس الشاعر، وكونه فردا يعيش في مجتمع يشعر به ويتجاوب مع أحداثه، فإنما هو يعبر بطريقة غير مباشرة عن هذا المجتمع.

---

[1]– ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب الحديث ومدارسه، ج2، ص 45– 46، وينظر: محمود الربيعي، في نقد الشعر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1977م، ص105.

[2]– إبراهيم عبد القادر المازني، الشعر غاياته ووسائطه، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1990م، ص36.

- أما تفسير عبد الرحمن شكري فيختلف عن سابقيه؛ فهو يرى أن الشعر يعبر عن الوجدان العام، وليس وجدان الشاعر الخاص؛ فالشاعر عنده لا يعبر عن عاطفة واحدة وإنما يعبر عن عواطف متغايرة ونفوس متباينة، والقصد من ذلك انفتاح الشاعر المذاهب الفلسفية في تعبيرها عن حالات النفس المختلفة، فيكون الشعر بذلك تعبيرا عن عواطف النفس البشرية التي تتجاوز حدود الزمان والمكان، لا تعبيرا عن نفس صاحبه.

يقول: "فإن شعر الشاعر مهما اختلفت أبوابه ينبئ عن نصيبه من التفكير، وحكمة الشاعر وتجاربه وخواطره في الحياة، تلك الخواطر التي ينضجها الشعور والتفكير والشاعر لا يسير على رأي واحد، فإن المذاهب الفلسفية أزياء تأتي وتروح مثل أزياء باريس، والنفس أعظم من أزيائها، ولكل حالة زي، والشاعر لا يعبر عن عاطفة واحدة، أو نفس واحدة، بل يعبر عن عواطف متغايرة، ونفوس متباينة، فلا رأي لمن يريد أن يقيده بمذهب من مذاهب الفلسفة، يذود عنه، ويتعصب له، فإن الشاعر يرى جانب الصواب في كل مذهب"[1]، وشعر الشاعر عنده ابن طبعه ومزاجه فالشعر خلق خيالي مستقل بذاته من صنع الشاعر، ولذلك تظهر فيه شخصيته الفنية لا شخصيته كإنسان كما ذهب العقاد والمازني، فالقصيدة عند شكري ليست شخصية، إذ يستفيد الشاعر من الواقع ويأخذ منه ولكنه يضيف إليه من نفسه.

2- أصول الشعر عند جماعة الديوان:

تحددت عناصر الشعر ومكوناته الرئيسة عند جماعة الديوان في أصول ثلاثة هي: العاطفة، والخيال، والذوق، وقد دعت الجماعة إلى اجتماع هذه الأصول في الشعر بحيث إذا ضعف أحدها أثر في جماله وقوته.

[1]- عبد الرحمن شكري، ديوان شكري، جمعه وحققه وقدم له: نقولا يوسف، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1960، ج3، ص289.

أ- العاطفة:

ذهب أعضاء جماعة الديوان إلى أن العاطفة من العناصر الجوهرية في الأدب؛ فهي تمنحه الخلود لصلتها بالنفس الإنسانية الباقية بقاء الإنسان.

يقول العقاد في ذلك "ما الشعر من تلك العواطف إلا مناطها الذي تتعلق به، بل هو ناقوسها المنبه بها، وحاديها الذي يأخذ بزمام ركبها"[1]، والعاطفة عند العقاد ليست الرقة والشكوى والدموع، بل هي تلك الطاقة الداخلية للإنسان التي تدفعه لقول الشعر.

والعاطفة عند المازني كذلك من أصول الشعر، يعبر عنها ويثيرها في القارئ، وتقترن بالذهن وتمتزج بالفكر بقدر الحاجة إليه؛ لأن "الشعر مجاله العواطف لا العقل، والإحساس لا الفكر، وإنما يعنى بالفكر على قدر ارتباطه بالإحساس، ولا غنى للشعر عن الفكر"[2].

والعاطفة مبعث الجمال في الشعر في نظر شكري الذي يرى أن الشعر نتيجة لانفعال عاطفي جارف، من شأنه أن يجعل الأساليب الشعرية تتدفق كالسيل، "لشعر العواطف رنة ونغمة لا نجدها في غيره (...) والشعر مهما اختلفت أبوابه لا بد أن يكون ذا عاطفة"[3]، وهي نظرة رومانسية للشعر الذي يقوم عندهم على التعبير عن العواطف.

ب- الخيال:

يظهر تأثر جماعة الديوان بالرومانسية الإنجليزية في قضية الخيال، فللخيال فعالية في الكشف عن الخفي من الأشياء والعلاقات بينها.

وقد نظرت جماعة الديوان إلى الخيال على أنه وسيلة من وسائل التعبير وليس غاية في ذاته، والاهتمام بالخيال ناجم عن رفضهم للاتجاه الحسي في الوصف.

---

[1]- عباس محمود العقاد، مقدمة ديوان عبد الرحمن شكري، ج2، ص131.

[2]- إبراهيم عبد القادر المازني، الشعر 'غاياته ووسائطه'، ص18.

[3]- عبد الرحمن شكري، مقدمة الديوان، ج3، ص209.

والخيال الشعري لا ينافي العقل والواقع، ويقسم العقاد الخيال إلى قسمين[1]:

- **خيال عام:** وهو القوة التي تجعل الإدراك الإنساني ممكنا، ويشترك فيه جميع الناس في عمليات المعرفة.

- **خيال شعري:** وهو الذي يتناول الحقائق ليبعثها من جديد، ويلبسها ثوب الحياة المشهودة.

ويمكن القول إن الخيال عند جماعة الديوان ملكة من ملكات النفس، تسهم في توضيح الحقائق، وهو خاضع للعقل، ومرتبط بالعاطفة التي تثيره وتحركه.

ويختلف العقاد عن زميليه في فهم تلك الحقائق؛ إذ تعني عنده الحقائق الفنية التي تتمثل في الصدق الشعوري، وقد جعل العقاد الخيال مرادفا للشعر، أما عند شكري والمازني فتعني حقائق الحياة العامة التي يقبلها العقل وتألفها النفس[2]، وهم متأثرون في ذلك بالرومانسية الإنجليزية التي منحت الخيال أهمية كبيرة في ارتباطه بالشعر.

ج- الذوق:

تناولت جماعة الديوان مسألة الذوق بعده أداة يهتدي بها الشاعر لتخير أحسن التعابير وأفضل التآليف وخير المعاني وأنسبها، فالذوق مقياس نقدي يرجع إليه الناقد في تقويم النصوص الأدبية والحكم عليها.

وقد اتفق أعضاء الجماعة ضرورة الذوق للشعر نظرا لأهميته في إعطاء القالب الأفضل لما يجيش به الوجدان، ولكنهم اختلفوا في تفسيره؛ فعبد الرحمن شكري يرى أن هناك ذوقا عاما يضاف إلى الذوق الخاص، والذوق العام عنده ما اجتمعت الأذواق على استحسانه أو استهجانه، والذوق الخاص ما اختلفت عليه، أما العقاد والمازني فيميلان إلى الذوق الخاص ويعطيان له الأولية في النقد.

---

[1]- عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، ص213.

[2]- ينظر: محمود الربيعي، في نقد الشعر، ص136.

3- مفهوم النقد عند جماعة الديوان:

النقد عند العقاد "هو التمييز، والتمييز لا يكون إلا مزية، والبيئة نفسها تعلمنا سننها في النقد والانتقاء حين تفضي عن كل ما تشابه، وتشرع إلى تخليد كل مزية تنجم في نوع من الأنواع، فسواء نظرنا إلى الغرائز التي ركبتها في مزاج الأنثى أو إلى الغرائز التي ركبتها في مزاج الفنان – وهذان هما المزاجان الموكلان بالإنتاج والتخليد في عالمي الأجسام والمعاني– فإننا نجد الوجهة في هذا أو في ذاك واحدة، والغرض هنا وهناك على اتفاق"[1]، إذ لا بد من أن يتوفر الناقد على الذوق والقدرة على التمييز.

وتتحقق هذه المزية بالاطلاع على الأدب في عصوره المختلفة، ودراسته في ألفاظه ومعانيه، لتتكون المعرفة بطبيعة الأدب وتطور نماذجه وهو ما يكون ملكة الذوق عند الشاعر والناقد على السواء، وقد أشار إلى ذلك عبد الرحمن شكري حين قال: "ثم إنك لا تكون صادق الحكم في آداب اللغة العربية مثلا، إلا إذا درست آداب العصور التي تعاقبت عليها، فإذا درست آداب عصر واحد كان رأيك أبعد ما يكون عن الصواب، ومثلك مثل الحكم الذي إذا سمع شهودا الإثبات أفاد من المتهم قبل أن يسمع شهود النفي، فإذا أردت ألا تضل بك أصالة الرأي كان خليقا بك الاطلاع على أنحاء الأمر الذي أنت حكم فيه"[2].

كما رأى العقاد أن الناقد الذي لا يحسن تعليل آرائه في الشعر ليس بناقد، وإنما هو قارئ[3]، في إشارة منه إلى الجانب العلمي في النقد وهو التعليل أو الدليل النقدي الذي يعد شرطا مهما يأتي بعد الذوق.

---

[1]- إبراهيم الحاوي، حركة النقد الحديث المعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1 ،1984، ص 62.

[2]- المرجع نفسه، ص64.

[3]- محمد أبو الأنوار، في تاريخ الأدب العربي الحديث بمصر، مكتبة الشباب، مصر، 1987م، ص170.

4- قضايا النقد عند جماعة الديوان:

تلخصت قضايا نقد الشعر عند جماعة الديوان فيما يأتي:

أ- الوحدة العضوية (الوحدة المعنوية):

من أهم القضايا التي ثارت فيها جماعة الديوان على مدرسة التقليد، هي تفكك القصيدة العربية لاعتمادها على وحدة البيت، فالبيت في القصيدة العربية القديمة وحدة مستقلة بذاتها؛ بحيث يمكن التقديم والتأخير في القصيدة، لأن البيت لا يرتبط بما قبله وما بعده، لذلك دعوا إلى وجوب أن تكون في القصيدة وحدة معنوية أو فنية.

فرغم أن القصيدة العربية مبنية على وزن واحد وقافية واحدة إلا أنه لا يحقق لها هذه الوحدة المطلوبة، يقول العقاد: "فأما التفكك فهو أن تكون القصيدة مجموعا مبددا من أبيات متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير الوزن والقافية، وليست هذه بالوحدة المعنوية الصحيحة، إذ كانت القصائد ذات الأوزان والقوافي المتشابهة أكبر من أن تحصى؛ فإذا اعتبرنا التشابه في الأعاريض وأحرف القافية وحدة معنوية جاز إذن أن ننقل البيت من قصيدة إلى مثلها، دون أن يخل ذلك بالمعنى أو الموضوع وهو ما لا يجوز"[1].

ولذلك جعلوا الوحدة شرطا في الكمال الفني للقصيدة التي "ينبغي تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها، واللحن الموسيقي بأنغامه؛ بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها؛ فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته، ولا يغني عنه غيره في موضعه إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة..."[2].

---

[1]- عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، الديوان في الأدب والنقد، مؤسسة هنداوي للثقافة والعلوم، 2017م ج2، ص122.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص122.

فالوحدة المعنوية (العضوية) التي يطلبها العقاد وزميله المازني هي وحدة الخاطر أو تجانس الخواطر حتى تكون القصيدة كالجسم الحي في انسجام أعضائه وتكاملها وتناسقها، فلا يأخذ أحدها مكان الآخر ولا يغني عنه، وهي وحدة شعورية فكرية، تقوم على خيط نفسي يربط بين أجزاء القصيدة.

وقيمة البيت الشعري تبعا لذلك تكمن في الصلة بين معناه وبين موضوع القصيدة؛ لأن البيت جزء مكمل ولا يصح أن يكون خارجا عن مكانه.

وفي ذلك دعوة إلى وحدة الموضوع أو الغرض؛ لأن الشاعر مطالب بوحدة الفكرة والمعنى؛ الذي يصل إليه القارئ بعد الكشف عن معان جزئية تكون منسجمة متكاملة.

أما عبد الرحمن شكري فيقصد بالوحدة العضوية مراعاة التناسب والانسجام بين مكونات الشعر المختلفة كالعاطفة والخيال والفكر، ولا ترتبط بالغرض أو الموضوع وحده، يقول: "إن قيمة البيت في الصلة التي بين معناه وموضوع القصيدة، إذ البيت جزء مكمل (...)، ومن أجل ذلك لا يصح أن نحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة، بل بالنظرة المتأملة الفنية (...)، كذلك ينبغي للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والفكر"[1].

كما يرى أن تعدد الموضوعات في القصيدة العربية التقليدية لا يخل بوحدتها؛ لأن النفس إذا فاضت بالشعر أخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة في القصيدة الواحدة، وبهذا تكون القصيدة وحدة من عناصر مترابطة ومتكاملة.

ب- الوزن والقافية:

رغم اهتمام جماعة الديوان بالمضمون في الشعر؛ إذ أدخلوا عناصر جديدة في تعريفهم له كالعاطفة والخيال، إلا أنهم لم يهملوا الجانب الموسيقي متمثلا في الوزن والقافية، وقد عدهما العقاد خاصية أساسية في الشعر العربي، يقول: "إنما الوزن المقسم بالأسباب والأوتاد والتفاعيل والبحور خاصية عربية نادرة المثال في لغات العالم، وكذلك القافية التي تصاحب

[1]- عبد الرحمن شكري، مقدمة الديوان، ج5، ص209.

هذه الأوزان"[1]، ولذلك رفض إلغاء القافية والوزن لأنها أهم مكونات الشعر، لكنه دعا إلى التجديد فيهما عن طريق التنويع ليتسعا للأغراض الشعرية المختلفة.

فهو يرى أن "تنويع القوافي أوفق للشعر العربي من إرساله بغير قافية، وأنه يقبل التنويع في أوزان المصاريع والمقطوعات على أسلوب الموشحات، فيتسع للمعاني المختلفة والموضوعات المطولة، ولا ينفصل عن الموسيقية التي نشأ فيها ودرج عليها"[2].

وقد ضرب لذلك مثالا بالتجربة الشعرية الجديدة لزميليه في الجماعة شكري والمازني؛ اللذين نوعا في القوافي، فنظما قصائد في بحر واحد وقواف شتى بين مرسلة ومزدوجة؛ فكسرت الرتابة بتجدد القافية وتنوعها، وفسحت المجال للشاعر العربي أن ينظم في أغراض جديدة كالشعر الملحمي والشعر القصصي.

من ذلك قول عبد الرحمن شكري:

فصوتُ اللّيلِ من صوت الضّمير مهيبُ القولِ كالهادي النّذير
يئنُّ صداهُ في صُمّ الضّلوع ويكسو النّفسَ ثوبًا مِن خشوع
فيا مأوايَ من عَنَتِ الحياةِ إذا أنا مِتُّ لا تهجرْ رُفاتِي

والدعوة إلى التنويع في القوافي لا تلغي تمسكهم بها؛ فهي عند شكري من مقومات الشعر الأساسية، وعند العقاد والمازني تمثل الجانب الشكلي للشعر العربي، وهكذا فإنهم لم يعملوا على تحطيم الإطار التقليدي للقصيدة العربية في جانبها الشكلي؛ إذ لم يبتدعوا شكلا جديدا وإنما حاولوا التوسيع فيها.

ج- الصنعة:

تصدت جماعة الديوان لقضية الصنعة التي كانت تمثل ظاهرة في الشعر العربي القديم؛ وقد نادت بتحرر الأدب من الصنعة اللفظية والتكلف، وأن يكون المعنى المنبعث من الروح

[1]- عباس محمود العقاد، حياة قلم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص 284.

[2]- عباس محمود العقاد، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص44.

هو الذي ينبغي أن يهتم به المبدع، والصنعة المذمومة عندهم هي المغالاة في الإغراب واستخدام المحسنات والزخارف اللفظية.

وجاء في مقدمة كتاب الديوان أن مذهبهم الجديد إنساني "لأنه من ناحية يترجم عن طبع الإنسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة"[1].

ومصطلح الصنعة عندهم يعني أن يقول الشاعر شعرا على غير طبع، محتذيا نماذج الأقدمين في تكلف، فيأتي الشعر ضعيفا، بعيدا عن الصدق والتأثير، ومقياسها افتقاد الشعر للعاطفة رغم ما يبدو عليه ظاهرا من زخرفة الألفاظ، وقد فصل المازني في ذلك في مقالته (الحلاوة والنعومة والأنوثة) من كتاب الديوان في الأدب والنقد؛ التي نقد فيها تصنع المنفلوطي وبعده عن الطبع ورأى أن"الحلاوة لا تتفق مع العبث والتكلف ولا مع العاطفة، والمنفلوطي متكلف في شعره ونثره فهو يتصنع العاطفة كما يتصنع العبارة[2].

فالصنعة لا تكمن في الإكثار من الصور البيانية والإغراب في اللفظ فحسب، بل هناك صنعة في الخيال والعاطفة، لذلك فرقوا بين الصنعة المحمودة التي تبلغ من الجودة ما يجعلها تحاكي الشعر المطبوع، والمذمومة هي التي تروم التعقيد والإغراب.

د- الصدق الفني:

اتفق أعضاء جماعة الديوان على أن الصدق لا يعني مطالقة الفن لما هو كائن مطابقة حرفية، ولا توافقه مع الوقائع والأحداث التاريخية، وإنما حقيقة الصدق في نفاذه إلى جوهر الموضوع وملامسة روحه، يقول العقاد في ذلك: "الصدق هو جوهر الجمال وأس البلاغة وقوام الذوق السليم (...)، فإن الصدق في الكتابة هو النفاذ إلى روح الموضوع، والإحاطة بأصوله ومقوماته، وأما مطابقته الواقع في التواريخ فهي جمع معلومات خارجية حول الموضوع لا تمس روحه"[3].

---

[1]- العقاد والمازني، الديوان في الأدب والنقد، ج1، ص7.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص84.

[3]- عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، ص 74.

فالصدق المقصود هو الصدق الشعوري، ومصدره الطبع الأصيل، البعيد عن التكلف، وقد تأثر العقاد في بالرومانسية في هذه المسألة ورأى أن الصدق الشعوري يكمن في "أن يكون الشاعر دليلا على شخصيته وكاشفا عنها، فكل شعر لا يضع أيدينا على السمات الأساسية لشخصية صاحبه شعر زائف"[1].

ويمكن القول إن الصدق هو التزام الشاعر الحقيقة الفنية لا الحقيقة المجردة، والحقيقة الفنية هي الحقيقة النفسية؛ أي صدق الشاعر مع نفسه من خلال التعبير عما يختلج فيها، وآية ذلك التأثير في النفوس، لأنه المحك الذي يتميز فيه الشعر الصادق عن الزائف، وقد رأى المازني أن الصدق الفني هو صدق الشعور الذي يعبر عنه الشاعر، وصدور ذلك الشعور عن طبع أصيل ومزاج لا تكلف فيه وبه يتحقق أبلغ تأثير[2]، لذلك ارتبط الصدق عندهم، بالطبع فهو تعبير عنه.

– ونختم هذه المحاضرة بالإشارة إلى ما كان لجماعة الديوان من تأثير بالغ في الحركة الأدبية والنقدية بعدها، وذلك للمكانة المهمة التي تبوأتها على الساحة النقدية؛ فقد احتل أفرادها باعتبارهم جماعة أدبية ونقدية مكانة بارزة؛ للمفاهيم والقضايا الجديدة التي دعوا إليها والحركة النقدية التي أثاروها، وكان لصدور كتاب (الديوان في الأدب والنقد) أثرا نوعيا في التوجه نحو اتجاه جديد في الأدب والنقد.

وقد ترتب عن هذا التوجه نحو الفكر العالمي حركة تجديد حقيقية، خاصة ما تعلق منها بنقد الشعر؛ إذ جد مفهومه وأرست قواعد جديدة للأدب استفاد منها الأدب العربي وفتحت الآفاق أمامه، ومع ذلك لم تحاول الجماعة هدم العناصر الأصيلة في التراث العربي أدبا ونقدا، وقد أثرت هذه الجماعة في مسيرة الأدب والنقد تأثيرا ملحوظا في المرحلة التي تلتها لما تمتعت به من إمكانات فكرية وثقافية وإبداعية.

[1]– محمود الربيعي، في نقد الشعر، ص124.

[2]– ينظر: المازني، الشعر 'غاياته ووسائطه'، ص27.